

عناية مفتي دار الإفتاء المصرية برجال الحديث النبوي

والنظر في الجرح والتعديل

إعداد

د / مؤمن توفيق محمد

ملخص البحث:

هذا العلم - علم الجرح والتعديل - تفرّد المحدثون بوضع قواعده وشروطه، وآدابه، وأحكامه عامة، ويُشهد لهم بهذا الفضل، ويعترف بهذا السبق القاصي والداني، والعدو والصديق، فلتهنأ نفوس المحدثين، ولتطّبّ خواطرهم بما قعدوه، وصنّفوه.

ولا يتقولنّ قائل: إنه لا حاجة لعلم الجرح والتعديل؛ لأنه غيبة⁽¹⁾، أو: من الذي نصّب هؤلاء المحدثين حكّاماً، وقضاة على رواة الحديث يقضون فيهم برأيهم ويقبلون، ويردون

(1) تكلم العلماء في الكشف عن الحدود الفاصلة بين الغيبة المحرمة والغيبة المباحة. حتى لا يقع الناس في الحرام.

...يقول الإمام النووي: (والغيبة نكر الإنسان في غيبته بما يكره والبهت أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان ولكن تباح الغيبة لغرض شرعي ولذلك أسباب:

أحدهما: التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية على إنصافه من ظلمه فيقول ظلمي فلان أو فعل بي كذا. الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه. الثالث: الاستفتاء: بأن يقول للمفتي ظلمي فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه، ودفع ظلمه عني... الرابع: تحذير المسلمين من الشر: وذلك من وجوه:

* منها جرح المجرحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صوتنا للشريعة.

* ومنها الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته.

* ومنها إذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً أو زانياً أو شارباً أو نحو ذلك أن تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد.

* ومنها إذا رأيت متفقها يتردد إلى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علماً وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصداً النصيحة.

بمزاجهم؟ لا، فالغيبية أن تتكلم عن إنسان بقصد الانتقال منه لغرض سيء، ومأرب خسيس في نفسك، أما كلام الأئمة . أهل الاختصاص . في الرواة؛ إنما هو لبيان حالهم، وهل هم أهل لأن يؤخذ عنهم أشرف مصدر، وأعظم منبع بعد القرآن، وهو حديث رسول الله ﷺ أم لا؟ ولولا ذلك لوجد الدجالون والدساسون مرتعاً خصباً، ومجالاً رحباً للعبث بحديث من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

وأما عن الدعوى الثانية: فإن التقوى التي كان عليها الأئمة النقاد، والأمانة التي كانوا يتمتعون بها، تحجزهم عن القول بما لا يعلمون، وضبط أقوالهم وأفعالهم فيما يجرحون، أو يعدلون. ونظرة واحدة في تأصيلهم وتطبيقهم، تعرفك الحقيقة وتعطيك النتيجة . ولنبدأ بدراسة بعض الأمور المتعلقة بهذا العلم، بدءاً من التعريف، والأهمية، ومنهج مفتي دار الإفتاء في التعامل مع الجرح والتعديل. والله المستعان.

الكلمات المفتاحية: (عناية مفتي دار الإفتاء برجال الحديث - الجرح والتعديل).

*ومنها أن يكون له ولاية ولا يقوم بها على وجهها لعدم أهليته أو لفسقه فيذكره لمن له عليه ولاية يستدل بها على حاله ولا يغتر به ويلزم الاستقامة.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته: كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر .

السادس: التعريف: فإذا كان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقيصاً ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى). انظر: جرح الرواة وتعديلهم بالاسس والضوابط، ١٦/٧.

Research Summary:

This science - the science of wounding and modification - the hadith scholars were unique in setting its rules, conditions, etiquette, and general provisions, and this virtue is witnessed to them, and this precedence is recognized by far and near, enemy and friend, so let the souls of the hadith rejoice, and let their thoughts be comforted by what they sat on and classified.

And do not say: There is no need for the knowledge of the wound and the amendment; because it is backbiting, Or: Who appointed these hadith scholars as judges and judges over the narrators of the hadith, passing judgment on them according to their opinion, accepting, and rejecting according to their mood? No, backbiting is when you talk about a person with the intention of detracting from him for a bad purpose, and despicable desires in yourself. As for the words of the imams - the people of competence - in the narrators; It is only to clarify their situation, and are they worthy of the most honorable source and the greatest source after the Qur'an, which is the hadith of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, be taken from them, or not? Were it not for that, the charlatans and intrigues would have found a fertile breeding ground, and a wide field for tampering with the hadith of those who do not speak of their own desires, may God bless him and grant him peace.

As for the second claim: The piety that the critical imams had, and the honesty that they enjoyed, prevented them from saying what they did not know, and controlling their words and actions in what they injured or modified. And one look at their rooting and application will inform you of the truth and give you the result.

Let us begin by examining some matters related to this science, starting with the definition, importance, and the approach

of the Fatwa House in dealing with the wound and the amendment. God is the helper.

Keywords: (The care of the Mufti of Dar al-Ifta for the men of hadith - the modification wound).

المبحث الأول: علم الجرح والتعديل.

المطلب الأول: تعريف الجرح والتعديل لغةً واصطلاحاً:

قبل أن نعرف الجرح والتعديل لا بد لنا أن نتعرف أولاً على مكونات هذا العلم وهو كما يرى مكون من شقين: الأول ويسمى (الجرح) والثاني ويسمى (التعديل) لكي نستخلص بعد ذلك تعريفاً جامعاً مانعاً لعلم (الجرح والتعديل).

الجرح لغة:

قال ابن منظور: "الجرح في اللغة مشتق من جرحه يجرحه جرحاً، بمعنى أثر فيه بالسلاح، والجراحة اسم الضربة أو الطعنة.. ويقال: جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته، من كذب وغيره"^(١).

والجرح: مصدر جرح يجرح جرحاً بمعنى: كلمة، وبمعنى: سبه وشتمه، قال في القاموس: "جرحه-كمنعه: كلمه وقال: "وجرح فلاناً: سبه وشتمه، وشاهداً: أسقط عدالته"^(٢).

وقال الزبيدي: "الجرح بالضم: يكون في الأبدان بالحديد ونحوه، والجرح بالفتح يكون باللسان في المعاني والأعراض ونحوها..."^(٣).

وقال الجرجاني: "الجرح المجرد هو ما يفسق به الشاهد ولم يوجب حقاً للشرع..."^(٤).

وقيل: الجرح لغةً: "هو التأثير في البدن بشق أو قطع، واستعير في المعنويات بمعنى التأثير في الدين أو الخلق بأوصاف يناقضهما"^(١).

(١) لسان العرب ٢ / ٤٣٢.

(٢) انظر: القاموس المحيط : ٢٢٥/١-مادة "جرح".

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية، ٨٩ / ٧.

(٤) التعريفات، للجرجاني، ص: ١٠٢.

ومن خلال أقوال علماء اللغة يتبين لنا أن الجرح جرحان:

أ- جرحٌ مادي وهو : أن يُحدث الإنسان أثراً في الأجسام الحية من قطعٍ أو ذبحٍ ، ولا عناية لعلماء هذا الفن به ، ولا دخل له في بحثنا .

ب- جرحٌ معنوي وهو : وصف الشخص بما يُؤذيه باللسان أو الكتابة أو الإشارة المُفهمة بسببٍ أو قذفٍ ، وهو أشقُّ من الأول ، وأشدُّ تأثيراً ، وأعظم خطورةً منه .

الجرح اصطلاحاً:

والجرح في اصطلاح المحدثين: هو الطعن في رواة الحديث بما يُسقط عدالتهم، أو يُخلُّ بضبطهم، أو يُقلِّل منهما، أو من أحدهما مما يترتّب عليه سقوط روايتهم وردّها أو ضعفهم .

قال ابن الأثير^(٢): "وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقولهم، وبطل العمل به"^(٣)، وبالجمله فالجرح هو: (بيان لعيوب راوي الحديث التي لأجلها تسقط

(١) معجم مقاييس اللغة؛ لابن فارس (ص: ١٩٦)، وانظر "خلاصة التأصيل في علم الجرح والتعديل" للشريف حاتم العوني (ص: ٦) وانظر: لسان المحدثين، محمد خلف سلامة ٢ / ٣٩ .

(٢) عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي (٥٥٥-٦٣٠ هـ) المعروف بابن الأثير الجزري، من أبرز المؤرخين المسلمين، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها وبيد كتابه الكامل في التاريخ مرجعا لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي .

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦ هـ) تحقيق : عبد القادر الأرئووط - التتمة تحقيق بشير عيون الناشر : مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ومذيل بحواشي المحقق الشيخ عبد القادر الأرئووط - رحمه الله - ، وأيضا أضيفت تعليقات أيمن صالح شعبان (ط : دار الكتب العلمية) ١ / ١٢٦ ، وانظر: الكفاية في علم الرواية ، أحمد علي ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، ص: ٥٧ وما بعدها، وانظر: تدريب الراوي ١ / ١٠٨ وما بعدها .

عدالتهم، ويكون حديثهم من عداد الضعاف، أو هو الطعن في الراوي ووصفه بما يمنع من قبول روايته^(١).

وقيل هو: وصفُ الراوي بما يقتضي ردَّ روايته، أو تليينه، أو تضعيفه^(٢).

فالجرح هو: الطعن في راوي الحديث، بما يسلب أو يخل بعدالته أو ضبطه.

ومعنى: يسلب، أي: يزيل بالكلية، كالوصف بالكفر المزيل للعدالة بالكلية، والوصف بالخرق المزيل للضبط بالكلية.

ومعنى: يخل، أي: يضعف العدالة كالوصف بالفسق، أو يضعف الضبط كالوصف بكثرة الأوهام.

التعديل لغة:

التعديل: مصدر عدل، فهو: عدل، العدالة ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، والعدل من الناس المرضي^(٣).

وقال الباهلي: رجل عدلٌ وعادلٌ جائز الشهادة ورَجُلٌ عدلٌ رِضاً ومَقْتَعٌ في الشهادة وتعديل الشهود أن تقول إنهم عدول وعدل الحكم أقامه وعدل الرجل زكاه والعدلة والعدلة المزكون^(٤).

وقيل هو: التقويم والتسوية، واستعير في المعنويات بمعنى الثناء على الشخص بما يدلُّ على حُسْنِ طريقته في الدين والخُلُق^(١).

(١) دراسات في الجرح والتعديل، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص: ٤١، وانظر: لسان المحدثين ٢ / ٤٠، منهج النقد في علوم الحديث، الدكتور نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية، ط٣، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ص: ٩٢.

(٢) ضوابط الجرح والتعديل؛ للدكتور عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف (ص: ٢١). وانظر: أصول الحديث وعلومه ومصطلحه لمحمد عجاج الخطيب (ص ١٦٨) .

(٣) لسان العرب، ١١ / ٤٣٠.

(٤) نفس المرجع السابق، ١١ / ٤٣٠.

فالتعديل هو التقويم والتسوية ، واستعير في المعنويات بمعنى الثناء على الشخص بما يدل على دينه القويم وخلقة السوي ، فالتعريف اللغوي للتعديل يقوم على معنى الاستقامة والاستواء، وهو الذي سيكون حاضراً في التعريف الاصطلاحي.

التعديل اصطلاحاً:

والعدالة في اصطلاح المحدثين: هي وصف متي التحق بهما - أي بالراوي والشاهد - أعتبر قولهما وأخذ به وعند الحكم^(٢).

وهي عبارة عن خمسة أمور، واعتبرها البعض شروطاً، متى تحققت في الرجل كان عدلاً، أو يقال: لابد من تحققها في العدل، وهي: الإسلام - البلوغ - العقل - التقوى - الاتصاف بالمروءة.

قال الحاكم: "وأصل عدالة المحدث أن يكون مسلماً لا يدعو إلى بدعة، ولا يعلن من أنواع المعاصي ما تسقط به عدالته، فإن كان مع ذلك حافظاً لحديثه، فهي أرفع درجات المحدثين"^(٣).

ونقل الخطيب بسنده قال: "سئل ابن المبارك عن العدل فقال: من كان فيه خمس خصال، يشهد الجماعة ولا يشرب هذا الشراب، ولا تكون في دينه خربة، ولا يكذب، ولا يكون في عقله شيء"^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة؛ لابن فارس (ص/٧١٨).

(٢) جامع الأصول، ابن الأثير ١/ ١٢٦.

(٣) معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، ت: السيد معظم حسين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ١/ ٩٢.

(٤) الكفاية، للخطيب، ص: ٧٩.

وقال الغزالي: "العدالة في الرواية والشهادة عبارة عن استقامة السيرة في الدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه"^(١).

وبناءً على تعريف الجرح والتعديل كلاً على حدة نستطيع أن نضع تعريفاً شاملاً لعلم الجرح والتعديل فنقول: هو علمٌ يبحث عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظٍ مخصوصة ، وعن مراتب تلك الألفاظ^(٢) لقبول روايتهم أو ردها.

قال ابن الأثير : الجرح وصفٌ متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به ، والتعديل وصفٌ متى التحق بهما اعتُبر قولهما وأُخذ به^(٣).

ويقول الدكتور خليل إبراهيم في تعريفه لهذا العلم: "هو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد بشأنهم مما يشينهم أو يزيههم بألفاظٍ مخصوصة"^(٤).

ومن خلال أقوال العلماء يتبين لنا أن علم الجرح والتعديل ينقسم إلى:

علم الجرح والتعديل النظري: و هو القواعد التي تتبني عليها معرفة الرواة الذين تقبل رواياتهم أو ترد ومراتبهم في ذلك. وعلم الجرح والتعديل التطبيقي: وهو إنزال كل راوٍ منزلته التي يستحقها من القبول وعدمه.

إذن نستطيع أن نستخلص مما تقدم أن علم الجرح والتعديل: هو ذلك العلم الذي يعني بدراسة أحوال الرواة مما له تعلق بقبول رواياتهم أو ردها وإصدار أحكام بحقهم بألفاظٍ مخصوصة على وفق قواعد معلنة.

(١) انظر: جامع الأصول (١: ١٢٦) ومعرفة علوم الحديث (ص: ٥٣) والمستصفي للغزالي (١: ١٥٧) .

(٢) أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) الناشر: دار ابن حزم ، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ٢ / ٢١١، وانظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة، للقنوجي، دار الكتب التعليمية - بيروت ، ط١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص: ١٥٠.

(٣) جامع الأصول لابن الأثير (١ / ٧٠) .

(٤) دراسات في تاريخ الفكر الإسلامي / ١٣٨ .

المطلب الثاني: أهمية علم الجرح والتعديل.

إن علم الجرح والتعديل هو أحد أنواع العلوم المتعلقة بالرواة؛ إذ بواسطته قضى النقاد على كل راو بما يستحقه من الوصف ... وأمكن من خلاله الوقوف على صحيح الحديث من ضعيفه^(١).

وباختصار شديد أقول: إن الغرض والمقصد الأساسي من علم الجرح والتعديل والذي تكلف الأئمة النقاد من أجله المشقة والعناء، وأجهدوا أنفسهم صباح مساء، إنما هو: حفظ سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

إذاً: فعلم الجرح والتعديل شريف نبيل، وإنما استمد شرفه من ثمرته، والشيء يشرف بشرف متعلقه، فأسعد به من علم، وأكرم به من فن.

ولأبسط القول قليلاً في بيان أهمية علم الجرح والتعديل في هذه النقاط:

١- أهمية علم الجرح والتعديل مستمدة من أهمية السنة النبوية في حياة المسلمين. فهي ضرورة شرعية أوجبها عليهم التزامهم بطاعة الله وطاعة رسوله - ﷺ .

وتكلم الإمام السيوطي في تدريب الراوي عن معرفة الثقات من الضعفاء الذي وسيلته الجرح والتعديل. فقال: "معرفة الثقات والضعفاء وهو من أجل الأنواع (يعني أنواع علوم الحديث) فبه يعرف الصحيح والضعيف وفيه تصانيف كثيرة... وما أغزر فوائده وما أجله وجوز الجرح والتعديل صيانة للشريعة"^(٢).

(١) دراسات في منهج النقد عند المحدثين (ص: ٢٤) .

(٢) تدريب الراوي/ السيوطي: ٣٦٨/٢.

٢- يعد علم الجرح والتعديل بمنزلة الشهادة على صدور ذلك المنقول عن رسول الله - ﷺ -، ومعلوم أننا مأمورون في القرآن الكريم برد شهادة الفاسق^(١) وقبول شهادة المؤمن المرضى^(٢)، والتوقف في شهادة مجهول الحال حتى يتضح أمره^(٣).
أخرج الخطيب البغدادي بسنده إلى بشر بن الحارث قال سمعت سفيان يقول: الإسناد في الحديث بمنزلة الشهادة^(٤).

وقال الخطيب البغدادي: "أجمع أهل العلم أنه لا يقبل إلا خبر العدل كما أنه لا تقبل إلا شهادة العدل، ولما ثبت ذلك وجب متى لم نعرف عدالة المخبر والشاهد أن يسأل عنهما أو يستخبر عن أحوالهما أهل المعرفة بهما إذ لا سبيل إلى العلم بما هما عليه إلا بالرجوع إلى قول من كان بهما عارفا في تركيتهما، فدل على أنه لا بد منه"^(٥).
٣- إجماع أهل العلم على إنه لا يقبل إلا خبر العدل كما أنه لا تقبل إلا شهادة العدل، لذلك كان السؤال عن المخبر من أهل العلم والمعرفة واجبا محتما^(٦).

(١) لقوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (النور: ٤) (فأوجب الله على القادف... ثلاثة أحكام أحدها أن يجلد ثمانين جلدة والثاني أن ترد شهادته دائما الثالث أن يكون فاسقا ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس) (تفسير ابن كثير ٣ / ٢٦٥).

(٢) لقوله تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ" (البقرة: من الآية ٢٨٢).

(٣) لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" (الحجرات: ٦) قال ابن كثير: (ومن ها هنا تمتع طوائف من العلماء عن قبول رواية مجهول الحال لأحتمال فسقه في نفس الأمر) (تفسير ابن كثير ٤/٢٠٩).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي: ٢/٢٠٠.

(٥) الكفاية/ الخطيب البغدادي/ ١٥.

(٦) انظر: الكفاية(ص٣٤) مع تصرف وزيادات. الخلاصة في علم الجرح والتعديل، علي بن نايف الشهود، الناشر: دار عالم الفوائد، ط١، ٢٠٠٨، ص: ٣-٤. وانظر: علم الرجال وأهميته، عبدالرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني، ص٢.

وإذا كان معرفة أحوال الرواة من أوجب الواجبات لحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بيان حال من عُرف بالضعف أو الكذب، وكذا من عُرف بالضبط والعدالة من ذلك الواجب أيضاً، ليعرف الناس حقيقة أمر من نقل حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمة.

٤- علم الجرح والتعديل بمثابة الغربال الذي يلقي بالضعيف والسفيف، ويحتفظ بالسمين والظريف بقصد الانتفاع به، والإفادة منه. كذلك معرفة المقبول من الروايات يترتب عليها العمل بها، ومعرفة المردود منها قاضٍ بتركها. والمقبول: ما رَجَحَ صدق المخبر به. والمردود: ما رَجَحَ كذب المخبر به^(١).

٥- تتجلى أهمية علم الجرح والتعديل في كونه الوسطة الناجحة، والدالة الواضحة التي يمكن من خلالها الاهتداء إلى معرفة المقبول والمدخول، والمكذوب والمنقول والغريب والمعقول من أحاديث الحبيب المصطفى ﷺ^(٢).

٦- وتبرز أهمية هذا العلم أيضاً في كونه موسوعة تاريخية قيّمة لا تُقَدَّر بثمن ضمّت بين طيّاتها جهابذة أبطالاً، وأفذاذاً أبدالاً، عرّفتنا بأحوالهم، وحفظت لنا تاريخ حياتهم. والألم تفخر برجالها، وتضرب المثل بأبطالها^(٣).

ومن الحق على أمة محمد أن تفخر بمحدثيها الذين بذلوا جهوداً جبّارة، وقطعوا فراسخ وأميالاً من أجل التثبت والسماع، أو الرواية والإسماع.

وحسبنا دليلاً كافياً، وبيانا شافياً كتاب الحافظ الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث. ومن طالعه يجد العجب العُجاب فيما كان عليه هؤلاء الأنجاء^(٤).

(١) قواعد في علوم الحديث، ظَفَر أحمد العثماني التُّهَانَوِي، تحقيق وتعليق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار القلم، بيروت، ط ١٩٧٢/٣م، (ص: ٣٣).

(٢) دراسات في منهج النقد عند المحدثين (ص: ٢٤).

(٣) الحفظ وأثره في قبول الحديث. دراسة تأصيلية تطبيقية، ١/٢٣٨.

(٤) الرحلة في طلب الحديث، أحمد بن علي (الخطيب البغدادي)، تح: د. نور الدين عتر، دار الكتب العلمية.

٧- تبرز أيضاً أهمية الجرح والتعديل في الأثر الذي يتركه في نفوس المسلمين، والمستشرقين، وغيرهم من الباحثين والدارسين، وهذا الأثر يتجلى في الوثوق بمنهج المحدثين، ومصداقيته العالية، وإيجابية النتائج التي تم التوصل إليها من خلاله؛ وذلك بعد أن عرفنا الغرض من علم الجرح والتعديل، وهو تمييز المقبول من المردود، وكيف أن المحدثين قد وضعوا الموازين القسط لهذا الغرض، وبدلوا الجهود في سبيل ذلك من رحلة، وسهر، وبحث، وغير ذلك^(١).

المبحث الثاني: منهج مفتو دار الإفتاء المصرية في الجرح والتعديل:

ولأهل الإفتاء أكثر من صورة في التعامل مع جرح الرواة وتعديلهم، ومن هذه الصور:

الصورة الأولى: الاعتماد علي كلام النقاد في الجرح والتعديل:

وهذه الصورة اعتمد عليها كثير من أهل الإفتاء في فتاويهم عند ذكر الرواة مثل: قول ا.د/ نصر فريد واصل في الحكم علي الأحوص بن حكيم قال: "وفي إسناده الأحوص بن حكيم ضعفه الجمهور، ووثقه العجلي"^(٢).

وايضاً قول ا.د/ علي جمعة في الحكم علي خالد بن دريك: "وتضعيف هذا الحديث بسعيد بن بشير، وخالد بن دريك: غير سديد؛ فقد وثق سعيدا جماعة من الأئمة، وأما خالد بن دريك فقد وثقه النسائي"^(٣).

الصورة الثانية: الحكم من قبل المفتي علي حال الراوي:

(١) الحفظ وأثره في قبول الحديث . دراسة تأصيلية تطبيقية، ٢٣٩/١.

(٢) فتاوي دار الإفتاء المصرية، ا.د/ نصر فريد واصل، ج ٢٤، ص: ١٤٥.

(٣) فتاوي دار الإفتاء المصرية، ا.د/ علي جمعة، ج ٣٩/٤١.

وهذه الصورة كانت قليلة من معظم مفتو دار الإفتاء، إلا أنها ظهرت علي فترات بسيطة، ومنها علي سبيل المثال: قول ا.د/ شوقي علام في الحكم علي روايات ابن لهيعة قال: "والذي عليه التحقيق: أن روايات -ابن لهيعة- مقبولة وأن حديثه حسن أو صحيح، وأن الضعف في بعض رواياته إنما أتى من جهة من روى عنه لا من قبله هو، ولو ادعي أن بعض المحدثين أطلق القول بتضعيفه فهذا معارض بتوثيق كبار الأئمة له ورواياتهم عنه"^(١).

وأيضاً قول ا.د/ علي جمعة في الحكم علي الحارث بن شهاب حيث قال: " وفي إسناده الحارث بن شهاب وهو ضعيف"^(٢).

الصورة الثالثة: الإشارة على حال الراوي بذكر رأي جمهور النقاد:

وهذه الصورة تظر لنا في قول ا.د/ علي جمعة حيث قال: " وهذا الحديث تفرد به الحكم بن عبدالله الأيلي، وهو متروك عند المحدثين"^(٣).

المبحث الثالث: نموذج تطبيقي من فتاوى دار الإفتاء المصرية ودراسته.

أولاً: نص الحديث:

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، قال: أخبرنا أبو الحسين بن النفور، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبدالله بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن نصر بن طالب، قال: حدثنا أبو الوليد عبدالملك بن يحيي بن عبد الله بن بكير المخزومي المصري، قال: حدثنا أبي، عن ابن لهيعة، عن الأسود بن مالك، عن بحير بن زاخر،

(١) انظر: فتاوى دار الإفتاء المصرية، ا.د/ شوقي علام، ج ٤٥، ص: ١٢٦

(٢) فتاوى دار الإفتاء المصرية، ا.د/ علي جمعة، ج ٤٠

(٣) فتاوى دار الإفتاء المصرية، ا.د/ علي جمعة، ج ٣٤، ص: ٣٧٠

قال..... أن رسول الله ﷺ قال: " من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"^(١).

ثانياً: قول مفتي دار الإفتاء:

قال أ. د/ شوقي علام: والذي عليه التحقيق: أن روايات -ابن لهيعة- مقبولة وأن حديثه حسن أو صحيح، وأن الضعف في بعض رواياته إنما أتى من جهة من روى عنه لا من قبله هو، ولو ادعي أن بعض المحدثين أطلق القول بتضعيفه فهذا معارض بتوثيق كبار الأئمة له ورواياتهم عنه^(٢).

ثالثاً: دراسة الإسناد:

من هو عبد الله بن لهيعة؟

هو عبدالله بن لهيعة -بفتح اللام- بن عقبة بن فرعان بن ربيعة بن ثوبان المصري الحضرمي ويقال: الغافقي، الفقيه القاضي -قاضي مصر-، ولد سنة ٩٦هـ، وكان قد تولى القضاء في مصر للمنصور سنة ١٥٥هـ، وتوفي سنة ١٧٤هـ، واحترق منزله وكتبه سنة ١٧٠هـ.

سمع من عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن شعيب، وعمرو بن دينار، ودراج أبي السمح، وعطاء بن دينار، وغيرهم كثير.

وروي عنه حفيده أحمد بن عيسى بن عبدالله، وابن أخيه لهيعة بن عيسى، والثوري وشعبة، والأوزاعي، وعمرو بن الحارث، والليث بن سعد، وهو من أقرانه، وعبدالله بن المبارك، وعبدالله بن وهب، وغيرهم كثير.

(١) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، ت: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٤٦/١٦١.

(٢) الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية، أ.د/ شوقي علام، ج ٤٥، ص: ١٢٦.

روي له أبو داود والترمذي، وابن ماجه في سننهم، ومسلم في صحيحه مقرونا مصرحا به، وكذا البخاري في صحيحه، والنسائي في سننه مقرونا من غير تصريح باسمه^(١).

ما قيل في تضعيفه:

قال أبو حاتم: ضعيف، مضرب أمره، يكتب حديثه علي الاعتبار، وقال ابن خزيمة: وابن لهيعة لست أخرج حديثه في هذا الكتاب إذا انفرد، وإنما أخرجه لأن معه جابر بن إسماعيل^(٢).

وقال محمد بن سعد: كان ضعيفاً، ومن سمع منه أول أمره فأحسن حالاً من روايته ممن سمع منه بأخرته.

وقال الحاكم: لم يقصد الكذب، وإنما حدث من حفظه بعد احتراق كتبه فأخطأ.

وقال ابن معين: ضعيف، لا يحتج به. وقال أيضاً: هو ضعيف قبل أن تحترق كتبه وبعد احتراقها.

وقال البخاري عن الحميدي: كان يحيي بن سعيد (أي القطان) لا يراه شيئاً^(٣).

(١) انظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/٢ / ٣٧٨، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، ومحمد بركات، وعمار ربحاوي، وغيث الحاج أحمد، وفادي المغربي، (دمشق: مؤسسة الرسالة العالمية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، ٢ / ٤٧٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٥ / ٣٧٨، وتاريخ ابن معين (رواية الدوري)، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (ت ٢٣٣ هـ)، الطبعة الأولى، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، (مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)، ٢ / ٣٢٧، والتاريخ الكبير للبخاري ١ / ٣ / ١٨٢، والصغير ص: ١٩٥، والضعفاء الصغير له ص: ٢٦٦، والمتروكين للنسائي ص: ٢٩٥، والمغني للذهبي ١ / ٣٢٥، والمجروحين لابن حبان ٢ / ١٩ - ٢٠، لسان الميزان لابن حجر ٧ / ٣٤٧.

(٢) الجرح والتعديل (٢ / ٤٦٣).

(٣) التاريخ الكبير (٢ / ١٧٥).

وقال ابن مهدي: ما أعتد بشئ سمعته من حديث ابن لهيعة، إلا سماع ابن المبارك، ونحوه.

وقال أبو زرعة الرازي: سماع الأوائل والأواخر منه سواء، إلا أن ابن المبارك وابن وهب كانا يتبعان أصوله، وليس ممن يحتج به.

وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن عدي: وهو ممن يكتب حديثه.

وقال ابن قتيبة: كان يقرأ عليه ما ليس من حديثه - يعني فضعف بسبب ذلك -.

قال الخطيب البغدادي: فمن ثم كثرت المناكير في روايته، لتساهله.

وقال يحيى بن حسان: رأيت مع قوم جزءاً سمعوه من ابن لهيعة، فنظرت فإذا ليس هو من حديثه، فجئت إليه فقال: ما أصنع؟ يجيئونني بكتاب، فيقولون: هذا من حديثك، فأحدثهم.

وقال سبط ابن العجمي في الاحتياط بمن رمي بالاختلاط: " والكلام فيه معروف، وقال بعض مشايخي فيما قرأت عليه: إنه نسب إلى الاختلاط، والعمل على تضعيف حديثه"^(١).

وقال في الكاشف: " العمل علي تضعيفه".

وقال في المغني: "ضعيف". وقال في تذكرة الحفاظ: " ولم يكن علي سعة علمه بالمتقن".

ما قيل في توثيقه:

قال ابن وهب: كان ابن لهيعة صدوقاً.

(١) الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط ، برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي سبط ابن العجمي (المتوفى: ٨٤١هـ)، ت: علاء الدين علي رضا، وسمى تحقيقه (نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط) وهو دراسة وتحقيق وزيادات في التراجم على الكتاب، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م، ص: ٣٥٠.

وقال أيضاً: حدثني الصادق البار - والله - عبد الله بن لهيعة.

وقال أبو داود: ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة.

وقال أحمد بن صالح المصري: كان ابن لهيعة صحيح الكتاب، طلاباً للعلم.

قال أحمد: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه واثقانه؟.

وقال أيضاً: كان ابن لهيعة من الثقات، إلا أنه إذا لقن شيئاً حدث به.

قال أحمد شاكر: وابن لهيعة عندنا ثقة.

وقال ابن حبان: "قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه، فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجوداً، وما لا أصل له في رواية المتقدمين كثير، فرجعت غلى الاعتبار فرأيت أنه كان يدلس عن أقوام ضعفاء، علي أقوام رأهم ابن لهيعة ثقات، فألزق تلك الموضوعات بهم".

وقال ابن أبي حاتم: "وأما رواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه ففيها مناكير كثيرة، وذلك كان لا يبالي، ما دفع إليه قرأه، سواء كان ذلك من حديثه، أو من غير حديثه، فوجب التتبع، عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه، لما فيها من الأخبار المدلسة عن الضعفاء والمتروكين، ووجب ترك الاحتجاج به برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه، لما فيها ما من حديثه".

وكان ابن لهيعة من الكاتبين للحديث والجماعين للعلم الرحالين فيه.

ولخص ابن حجر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه في التقريب فقال: "صدوق، خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما".

وقال محقق الكواكب النيرات: "إذا قلنا: إن رواية من روى عنه قبل احتراق كتبه صحيحة - كما هو رأى كثير من الأئمة - فرواية سفيان الثوري، وشعبة، والأوزاعي، وعمرو بن الحارث المصري عنه صحيحة؛ لأن هؤلاء الأربعة رووا عنه وماتوا قبل احتراق كتبه".

خلاصة أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه والراجح فيها :

- ١- ضعيف مطلقاً.
 - ٢- ثقة مطلقاً.
 - ٣- صالح في المتابعات.
 - ٤- حديثه صحيح إذا كان من رواية العبادلة الأربعة^(١)، وكذا كل ثقة عرف أنه أخذ عنه قبل الاختلاط.
- والرأي الرابع هو الرأي الصحيح الراجح، لأن ابن لهيعة ثقة في الحديث لا ريب في ذلك، لكن عيبه الاختلاط، والقاعدة في المختلطين: أن ما رواه قبل الاختلاط فصحيح، وما رواه بعد الاختلاط فمردود، وما لا يعرف يتوقف فيه، ويجب أيضاً أن يصرح بالسماع عن روي عنه، إلا إذا جاء حديثه من رواية العبادلة الأربعة، فحديثه صحيح مطلقاً.
- فالخلاصة :** عدم توثيق عبدالله ابن لهيعة، وعدم قبول حديثه مطلقاً بلا قيد، لأنه اختلط بعد احتراق كتبه في مصر، فكان من جاءه بشيء قرأه عليه، حتى لو وضع أحد حديثاً وجاء به إليه قرأه عليه، فمن ثم كثرت المناكير في روايته . **فالقول بتوثيقه مطلقاً - كما يقول أ. د شوقي علام قول فيه نظر. والله تعالى أعلم.**

(١) العبادلة الأربعة هم: عبدالله بن وهب، عبدالله بن يزيد المقرئ، عبدالله بن مسلمة القعني، عبدالله بن المبارك.